حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد الخامس ـ شهر رمضان ـ ١٤٣٦ هـ / تموز ـ ٢٠١٥ م

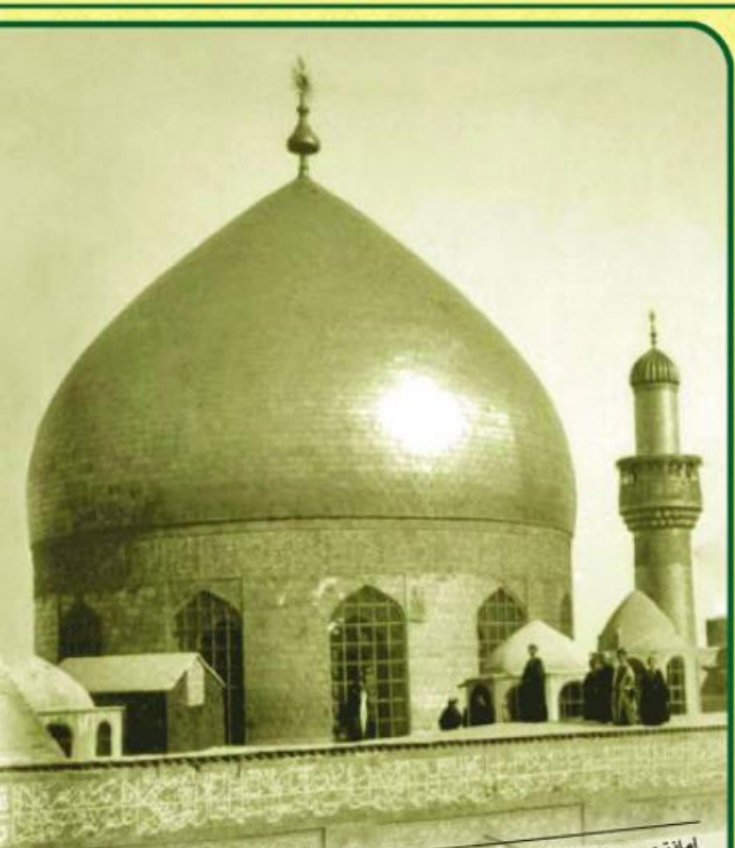

أمانة مسجد المعظم تحتفل بمناسبة مرور ١٤٠٠ عام على اختيار الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الكوفة عاصمة لحكومته المباركة عام ٣٦ للهجرة

٥

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

من الثوار العلويين الذين ثاروا في الكوفة ضد الحكم العباسي في عهد المأمون سنة ١٩٩ هـ/٨١٥ م

ثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)

السيد مثنى محمد رضا الشرع
الحوزة العلمية في النجف الأشرف

أولاً: مقدمات الثورة

عَهِدَ هارون الرشيد[1] في خلافتهِ (١٧٠-١٩٣ هـ/٧٨٦-٨٠٨ م) وفي حياتهِ بولاية العهد وتقسيم السلطة والمُلك بين أبنائه الثلاثة «الأمين، المأمون[2]، القاسم» وجعل الخلافة بينهم الواحد تلو الآخر ابتداءً من الأمين والمأمون فالقاسم، وحددّ لكل منهم دائرة نشاطه وإدارته وحدود تصرفهِ، فأعطى الأمين ولاية العراق والشام وحتى آخر المغرب، وأعطى المأمون من همدان[3] إلى آخر المشرق، وأعطى القاسم الذي سماهُ المؤتمن

(١) هو هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، خامس خلفاء بني العباس وأشهرهم، ولد بالري لما كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان ونشأ في بغداد، واختلفت الروايات في إعطاء تأريخ دقيق لولادته، إلا أنه يعتقد أنها محصورة ما بين عامي (١٤٥-١٥٠هـ) لكن الأرجح أن ولادته كانت عام (١٤٨هـ/٧٦٥م) وذلك بمدينة السلام. أما أمه فهي الخيزران وكانت من اليمن، لقبه والده بالرشيد بعد أن أصبح ولياً للعهد بعد أخيه موسى الهادي، على اثر الانتصارات التي أحرزها ضد الروم البيزنطيين في سنة (١٦٦هـ/٧٢٨م) وقد بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه موسى الهادي في (١٤/ربيع الأول/ سنة ١٧٠ هـ) الموافق (١٤/أيلول/٧٨٦ م)، ولايتهُ ٢٣ سنة وشهران وأيام توفي في مدينة سناباذ من مدن طوس وبها قبره وذلك في (١٣/جمادى الآخرة/سنة ١٩٣ هـ) الموافق (٢٤/آذار/٨٠٨ م). انظر: العصر العباسي الأول، ص ١٤٠، الأعلام، ح٨ ص٦٢، هارون الرشيد، حقائق عن عهده وخلافته، ٤٥.

اشتهر حكمه بالقسوة والعنف، وكان يقول فيه المؤرخون: كان جباراً سفاكاً للدماء على نمط ملوك الشرق المستبدين وكانت من قسوته البالغة فتكه بالسادة العلويين، فقد أودع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في ظلمات السجون ثم اغتاله بالسم، كما لم يملك هارون أي رصيد من التقوى والإيمان فكان متحللاً منساباً وراء شهواته و ملذاتهِ، ولع بالغناء ونشأ بين أحضان المغنيات والمطربات فكان في قصرهِ ثلاثمائة جارية من الحسان يعزفن ويغنين، ولا يكاد مجلسه يخلو من حفلات الرقص و الغناء وشرب الخمور. لمزيد من التفاصيل انظر: حياة الإمام الرضا (عليه السلام) للشيخ باقر القرشي، ح٢، ص٢٢٣. تميز عهده بانفصال أفريقيا، وتصاعد الحرب البيزنطية، وبلوغ البرامكة أوجهم، وثار عليه يحيى بن عبد الله في الديلم. الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ص٢٢١

(٢) هو عبد الله بن هارون بن المهدي بن المنصور العباسي، ولد في مدينة الياسرية، ليلة الجمعة (١٥/ ربيع الأول/ سنة ١٧٠ هـ) أمه هي أم ولد يقال لها مراجل الباذغيسية، كانت جارية سوداء، أصلها من باذغيس هراة، أهداها إلى الرشيد علي بن عيسى بن ماهان، وقد توفيت أيام نفاسها به. أما كنيته فقد أُختلف فيها، فمرةً يكنّى بأبي العباس وأخرى بأبي جعفر. وكنيته بأبي العباس كانت قبل استخلافه، فلما استُخلِف تكنى بأبي جعفر. فيما جمع بعضهم بين الروايتين، فيقولون: هو أبو العباس، وقيل أبو جعفر. أما تسميته بالمأمون، فقد سمّاه أبوه هارون الرشيد عندما بايع له في سنة ١٨٣ للهجرة بالمأمون، وهو أول من لقّب بالمأمون. وكان يلقب بنجيب بني العباس وبالمحدود لأن الرشيد حده في شيء. وقد ولد المأمون قبل أخيه الأمين بستة أشهر، ومع هذا فقد قدم الرشيد الأمين على المأمون في ولاية العهد بالرغم من كونه أصغر منه. ثم عاد وعقد البيعة للمأمون بعد الأمين سنة ١٨٣ للهجرة، وكان للمأمون عدد من الأخوة والأخوات من أبيه، من أشهرهم المعتصم الخليفة الثامن، وصالح الذي تولى الصلاة على الرشيد بعد وفاته. ومن أخواته خديجة وقد تزوجها محمد بن صالح بن المنصور، وأم محمد وتزوجها جعفر ابن الهادي. لمزيد من التفاصيل انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٢ ص٦٦، كتاب المعارف: ص ٣٨٧، كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس: ص٦٣.

(٣) همذان: بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وهي مدينة مشهورة من مدن الجبال، ويؤكد الجغرافيون العرب أنها مدينة كبيرة مقدارها فرسخ في فرسخ، أما معنى همذان محركة فيعني الرجل الكثير الكلام يشتد مرة ويسكن آخر، والهمذاني في المشي اختلاط نوع بنوع وهو ضرب من السير، والهمذان محركة (الرسمان في السير) وقد تغير اسم همذان وصارت تهجئتها في الكتب الحديثة همدان ويعزى إلى أن حرف (ذ) يلفظهُ الفرس في زماننا (ز) فيقولون ازربيجان، ويكتبونها أذربيجان وأحيانا لا يلفظون

الجزيرة والثغور والعواصم.

وكتب كتابين احدهما للامين والآخر للمأمون بما قرّرهُ لهما وعلق الكتابين في الكعبة، وما أن انتهت حياة هارون الرشيد وانتقلت الخلافة للامين واستقر به الملك والسلطان حتى أقنعه بعض خواصهِ بأن يخلع أخاه المأمون ويسحب منهُ ولاية العهد ويجعل الخلافة من بعدهِ لابنهِ ابن الأمين واسمهُ موسى، وراح يهيئ الخلافة لولدهِ ويدعو لهُ على المنابر وطلب من المأمون أن يؤيد هذا القرار و يعترف بالولاية لموسى من بعد الأمين، فرفض ذلك وتمردّ على خلافة الأمين وأعلن خلعهُ والتحلل من بيعتهِ، وراح يعدّ ويهيئ للحرب والصِّدام المسلح مع أخيه الأمين.

بدأ الأمين شن الحرب على المأمون، فأرسل علي بن عيسى احد قوادهُ لقتال المأمون في خراسان وبدأت عجلة الحرب تدور، ونشب الصراع وانهزم علي بن عيسى أمام طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون، وتقدم طاهر بن الحسين وزحف نحو بغداد فحاصرها مدة سنة ونصف، أضطر الأمين للتسليم بعد حربٍ دمويةٍ رهيبةٍ، ومعارك شوارع في العاصمة بغداد ودمار اقتصادي ومدني مروع، فسقطت بغداد مقر خلافته واستسلم الأمين لطاهر بن الحسين فقتلهُ، ولم يقبل لهُ عذراً، وحمل رأسهُ إلى خراسان، وسلم الرأس إلى المأمون، وهكذا انتهى حكم الأمين بعد أن دام أربع سنوات وعدة شهور، وخضعت الدولة العباسية خلال هذه الفترة لهزات واضطرابات، وصراع دموي وسياسي وأنهاك اقتصادي عنيف، واستغل العلويون هذا الوضع السياسي المضطرب وتلك الظروف المؤاتية بعد أن ضاق عليهم الخناق طوال الفترة العباسية المنصرمة، وقاموا بعدة ثورات، وكان طبيعياً أن تدفع السياسة العباسية وظروف المطاردة والاضطهاد العلويين إلى التحرك المسلح وإعلان الثورات والدفاع عن الحق بالقوة، ولذلك لم يـرَ العلويون في هذه الفترة بالذات غير السيف مفزعاً وغير الجهاد لغة للخطاب والتعامل مع الخصم، ومن الطبيعي أن يستثمر الثوار العلويون فرصة ارتباك السلطة واضطراب الأوضاع، لذا فقد حدثت ثورات أيام المأمون و ثورات قام بها العلويون ضد الحكم العباسي مستغلين الأوضاع والظروف السياسية المتردية، من ابرز هذه الثورات في عهد الإمام الرضا (ﷺ) هي ثورة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ﷺ) المعروف بابن طباطبا في يوم الخميس (١٠/جمادى الآخرة/سنة ١٩٩هجرية) في الكوفة حيث أنصاره وأتباعه وكان قائدهُ الذي تولى شؤون الجيش وإدارة المعركة هو (أبو السرايا وهو السري بن منصور) وكان يقول انهُ من ولد هاني بن مسعود الشيباني[1].

ثانياً: بوادر إعلان الثورة

وما أعلنت الثورة في الكوفة حتى انضم إليها أهالي الكوفة وما حولها من أعراب وقرى، فأصبحت الكوفة بيد الثائر العلوي، فوجه العباسيون إليه جيشاً كبيراً قوامهُ عشرة الآف مقاتل فأشتبك في معركة ضارية أبو السرايا مع هذا الجيش فأنتصر عليه وحطّمهُ، كان العلويون قد ركنوا إلى الهدوء في أواخر عهد الرشيد وطوال عهد الأمين وبدأت بوادر قيام ثورة جديدة شيعية في مطلع عهد المأمون مستفيدة من إقامة الخليفة الجديد المأمون في مدينة مرو وهي من أشهر مدن خراسان ومن الفوضى التي انتشرت في العراق وبعض ولايات الدولة العباسية اثر الصراع المرير الذي شبّ بين الأخوين الأمين والمأمون.

كان بداية هذه الثورة هو قدوم رجل من شيعة الجزيرة يدعى نصر بن شبيب إلى الحجاز حاجاً ومر نصر بالمدينة فسأل عن بقايا أهل البيت ومَنْ ذُكر منهم، فُذكر له ثلاثة أسماء من العلويين أولهم علي بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ) ولكن نصراً علم أن هذا الزعيم كان مشغولاً بالعبادة لا يصل إليه أحد ولا يأذن لهُ، وأما الزعيم العلوي الثائر فهو عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ﷺ)، كان مطلوباً خائفاً لا يلقاهُ احد.

بقي الزعيم الثالث هو محمد بن إبراهيم فكان الزعيم الوحيد الذي يمكن لنصر لقاءهُ إذ كان يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن والتقى نصر بمحمد فذكرهُ بما نزل بآل علي مكن تنكيل واضطهاد وباغتصاب العباسيين لحق العلويين في

الذال زايا، فأسم همذان يلفظونه " همدان " لا " همزان " وهناك إشارات تاريخية تفيد بان الميديين كانوا في الجهات الجنوبية الشرقية في منطقة إقليم همذان وان الملك الأشوري (تجلاتبليزر الثالث ٧٤٤-٧٠٧ ق. م) قد هجم على مستوطنات المأذيين إلى الشمال الغربي من منطقة همذان، وكذلك مستوطنات الفرس، ووصلت الجيوش الأشورية إلى جبال " ديماوند" الوارد ذكرها في الأخبار الأشورية باسم " بكني " Bikini، والى تخوم البحيرة المالحة الكبرى وقد ورد في أخبار ذلك الملك الأشوري أيضاً، انه جلب أسرى من الميديين عددهم ٦٥. ٠٠٠ الف أسير وأسكنهم في منطقة ديالى في حدود الدولة الأشورية، وفي عهد الدولة الساسانية فقد أصبحت همذان عاصمة لكثير من السلاطين الساسانيين وكانوا يدعونها بدار السلطنة. لمزيد من التفاصيل انظر: تاج العروس، ج٢، ص٥٨٥، المسالك والممالك، ص٢٠، صورة الأرض، ص٣٠٨، إيران في عهد الساسانيين، ص٧٦

(١) الكامل في التاريخ ج٦ ص٣٠٢، تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣١٣، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤ ص٢٢

الخلافة، ثم قال نصر لمحمد: حتى متى توطئون بالخسف وتهتضم شيعتكم وتسكتون على حقكم؟؟

فتأثر محمد بن إبراهيم بحديث نصر واتفقا على اللقاء في إقليم الجزيرة[1].

وعاد نصر مع سائر الحجاج إلى الجزيرة وبعد فترة لحق به محمد بن إبراهيم ومعهُ نفر من أصحابهِ وشيعتهِ وجمع نصر أهله وعشيرتهُ وعرض ذلك عليهم فأجابهُ بعضهم وامتنع عليه بعض وكثر القول فيهم والاختلاف حتى تواثبوا وتضاربوا بالنعال والعصي وانصرفوا عن ذلك، ثم توجه بعض أقاربه إليه بالنصيحة فحذروهُ عواقب الخروج على طاعة الدولة العباسية مما يعود بالضرر عليه وعلى أهل بيتهِ، وختموا نصيحتهم له بقولهم: فما حاجتك إلى تعريض نفسك فأهلك وأهل بيتك لا قوام لهم به؟ إنّ جميع هذا البلد أعداء لآل أبي طالب، فإن أجابوك الآن طائعين فروا عنك غداً منهزمين إذا احتجت إلى نصرهم على انك إلى خلافهم اقرب منك إلى إجابتهم؟.

واقتنع نصر بنصيحة أقاربه، فعدل عن رأيه وفترت حماستهُ فصار إلى محمد بن إبراهيم معتذراً إليه بما كان من خلاف الناس عليه ورغبتهم عن أهل البيت، وعرض نصر على محمد أن يمنحهُ خمسة الآف دينار ليتقوى بها، فغضب محمد بن إبراهيم لتخلي نصر عن وعودهِ وانشأ يقول:

سُـنغني بحمـد الله عنـك بعـصبةٍ

يهشـون للـداعي إلـى واضـح الحـق

طلبـتُ لـك الحسـنى فقصـرت دونهـا

فأصـبحت مـذموماً وزلـت عـن الصـدق

جـروا فلهـم سـبق وجـرت مقصـراً

ذمـيماً بمـا قصّـرت عـن غايـة السـبق

ومـا كـل شـيء سـابق أو مقصـر

يـؤول بـه التقصـير إلاّ إلـى العـرْق

وغادر محمد راجعاً إلى الحجاز فلقي في طريقهِ أبا السرايا وهو السري بن منصور.

ثالثاً: اللقاء بين محمد بن إبراهيم وأبي السرايا

بعث نصر بن شبيب الآمال في نفس محمد بن إبراهيم ودفعهُ إلى التطلع إلى الخلافة والتفكير في تدبير سُبل الوصول إليها ويبدو أن نكث نصر لوعودهِ لم يثنِ محمداً عن تطلعهِ إلى الخلافة ففي خلال عودتهِ إلى الحجاز التقى في الطريق السري بن منصور، كان أبو السرايا قد خالف السلطان ونابذهُ وعاث في العراق، ثم صار إلى تلك الناحية فأقام بها خوفاً على نفسهِ، وعلم أبو السرايا بما كان بين نصر بن شبيب ومحمد بن إبراهيم، فعرض أن يقوم للزعيم العلوي ما كان قد وعدهُ به من معاونات وتعهـد له بالوفاء وان يكون له نصيراً ومؤازراً وطلب منهُ أن يعدل عن الرجوع إلى الحجاز وان يتجه إلى الكوفة حيث يوافيه بعد فترة وجيزة[2].

قَـدِمَ محمد بن إبراهيم إلى الكوفة يسأل عن أخبار الناس ويتحمسها ويتأهب لأمره ويدعو من يثق به إلى ما يريد حتى اجتمع لهُ بشر كثير، ورحل أبو السرايا في طريقه إلى الكوفة فمر بنينوى ثم اتجه إلى قبر الإمام الحسين (عليه السلام) على رأس عدد كبير من الفرسان، وبعث أبو السرايا في طلب الشيعة الزيدية فقدموا عليه، فخطب فيهم خطبة طويلة جاء فيها: أيها الناس، هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروهُ، فما يقعدكم عمن أدركتموهُ ولحقتموهُ؟ وهو غداً خارج طالب بثأرهِ وحقهِ، وتراث آبائهِ وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرتهِ و مؤازرتهِ؟

إني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله والذب عن دينهِ، والنصر لأهل بيتهِ، فمن كان لهُ نية في ذلك فليلحق بي، ثم بدأ أبو السرايا رحلتهُ إلى الكوفة.

رابعاً: أسباب قيام الثورة في الكوفة

١. قام بتخطيط هذه الثورة وتوجيهها رجل من غير آل أبي طالب وهو السري بن منصور – أبو السرايا- ولقد اتخذت الكوفة مركزاً للثورة وهي أول مرة تشهد فيها الكوفة ثورة علوية في العصر العباسي، ونحن نعرف أن ثورة محمد ذو النفس الزكية قد قامت في الحجاز، و ثورة أخيه إبراهيم في البصرة، ثم ثورة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم، و ثورة أخيه إدريس في المغرب. لقد كانت إقامة الخليفة العباسي المنصور في الكوفة، ثم إقامة الهادي والمهدي والرشيد في بغداد على مقربة من الكوفة، حائلاً دون قيام ثورات شيعية فيها، وتغير الموقف في عهد الخليفة المأمون فقد كان لا يزال مقيماً في مرو بخراسان مما شجع أهالي الكوفة على الثورة والانضمام إلى أبي السرايا وذلك في يوم الأحد الموافق (١٠/جمادى الآخرة/سنة ١٩٩ هجرية /كانون الثاني/٨١٥ ميلادية)[3].

٢. اختلف المؤرخون في سبب خروج أبي السرايا فقال المؤرخ الطبري: إنهُ كان احد الذين انفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون، حين أشيع أن الفضل انزل المأمون قصراً

(١) مقاتل الطالبيين ص٤٢٥

(٢) مقاتل الطالبيين ص٤٢٦

(٣) الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ص٢٣٢

فحبسهُ فيه وبدأ يبرم الأمور على هواهُ، ويستبد بالرأي دونهُ وقد أشيع ذلك حين صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي فتحها وتوجيههُ إلى ذلك الحسن بن سهل، فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوهُ الناس وأجترأوا على الحسن بن سهل وهاجت الفتن في الأمصار[١].

٣.وقيل أن سبب خروج أبي السرايا يعود إلى اتخاذ المأمون سياسة عنصرية حيث اعتمد على الفرس وانتقل إلى مدينة مرو، وقد اتخذ الوزراء فأستولى الفضل بن سهل على الوزارة و سمي ذو الرياستين[٢].

٤.أن أبا الفرج الأصفهاني يرى: أن أبا السرايا كان علوي الرأي ذا مذهب في التشيع وانهُ عاث بالعراق وصار إلى بعض نواحيه خائفاً على نفسه في دعوة محمد بن إبراهيم متنفساً يرضي طموحه الذي فارق عليه السلطة كما يرضي هواه العلوي ومذهبهُ في التشيع للعلويين، وبذلك اتفق محمد بن إبراهيم وأبو السرايا على أن يتوجه محمد إلى الكوفة فيدعو الناس إليه ثم يعسكر في ظاهر المدينة إلى أن يأتيه أبو السرايا في موعد اتفقا عليه[٣].

٥.أستأثر الفضل بن سهل بالوزارة بعدما نجح المأمون في القضاء على أخيه الأمين في بغداد، وكان للقائدين طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين من ابرز عوامل انتصارات المأمون، فأراد الفضل بن سهل الخلاص من القائدين فأصدر أوامره على لسان المأمون وهي تولية الحسن بن سهل جميع ما افتتحه طاهر بن الحسين من (كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن) وكتب إلى طاهر أن يسلمه جميع ما في يده من الأعمال وان يذهب إلى مدينة الرقة لمحاربة نصر بن شبيب الذي أعلن الثورة في الشام وولاه (الموصل والجزيرة والشام والمغرب) فأضطر طاهر وهو كاره للأمر، أما هرثمة بن أعين فقد اصدر الفضل بن سهل يأمره بالمجيء إلى خراسان، وأدى ابتعاد هذين القائدين عن العراق إلى انتشار الاضطرابات فيها مما ساعد على ظهور ثورات أبرزها ثورة محمد بن إبراهيم العلوي[٤].

٦.ضجر الناس في العراق من فتنة الأمين والمأمون فصار الناس يتمنون الخلاص من ذلك الوضع السيئ، ويظهر أن العلويين أدركوا ذلك فنجد أن محمد بن إبراهيم يدعو الناس إلى (كتاب الله وسنة نبيه محمد (ﷺ) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسيرة بحكم كتاب الله[٥].

وفي ضواحي الكوفة كان محمد بن إبراهيم وأتباعه في انتظار أبي السرايا وقد انضم إليه علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين، وانضم إليهم عدد كبير من أهل الكوفة، فكانوا مثل الجراد إلاّ أنهم على غير نظام وغير قوة ولا سلاح إلاّ العصي والسكاكين والآجر، وأبدى بعض الشيعة قلقهم لتأخر وصول أبي السرايا حتى شتموهُ وسبوهُ، ولاموا محمد بن إبراهيم على الاستعانة به.

قدم أبو السرايا إلى الكوفة وترجل عن جواده وعانق محمد بن إبراهيم وطلب أبو السرايا من الزعيم العلوي أن يدخل إلى الكوفة و يخطب بالناس، فدخل وخطب ودعا الناس في الكوفة إلى البيعة إلى الرضا من آل محمد والعمل بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبايعهُ جميع الناس حتى ازدحموا وتمت البيعة في موضع بالكوفة يسمى بقصر الضرتين، استدعى الحسن بن سهل إليه احد القواد العباسيين وهو زهير بن المسيب فعهد إليه بإخضاع أبي السرايا وأمده بالرجال والأموال والإمدادات وبعث إليه إلى والي الكوفة سليمان بن أبي جعفر المنصور يتهمهُ بالضعف ويلومه على موقفهِ المتخاذل الذي أدى إلى قيام ثورة شيعية في الكوفة.

خرج زهير بن المسيب على رأس جيش قوامهُ عشرة آلاف مقاتل وراجل متجهاً نحو الكوفة، وكان محمد بن إبراهيم ملازماً فراشهُ يعاني مرضاً شديداً، فأمر داعيتهُ أبا السرايا بقتال الجيش العباسي و أمره أن لا يدعونهم ولا يبدأهم بقتال وحاول أهل بغداد من أنصار العباسيين المقيمين بالكوفة أن يحثوا أهل الكوفة على التخاذل عن الانضمام إلى جيش أبي السرايا، ولكن أبا السرايا أثار الحماسة في قلوبهم بالخطابة حيناً وبالشعر حيناً آخر، حتى نجح في تعبئة جيش خرج به لقتال العباسيين.

كان أهالي بغداد يصيحون يا أهل الكوفة: زينوا نساءكم وإخوانكم وبناتكم للفجور، والله لنفعلن بهم كذا وكذا، ولا يكنون.

وأبو السرايا يقول: يا أهل الكوفة صححوا نياتكم واخلصوا لله ضمائركم، و استنصحوهُ على عدوكم وابرأوا إليه من حولكم وقوتكم، واقرأوا القرآن.

(١) تاريخ الطبري ج٨ ص٥٢٨
(٢) ثورات العلويين ص٣٢٥
(٣) مقاتل الطالبيين ص٤٢٦
(٤) جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ص٤٢٦
(٥) العصر العباسي الأول، ص ٢١٠

أقبل زهير بن المسيب حتى نزل قصر هبيرة فأقام به ووجه ابنهُ أزهر على مقدمة الجيش فنزل سوق أسد، وسار أبو السرايا من الكوفة وقت العصر حتى أتى معسكر أزهر بسوق أسد فبيتهم فطحن العسكر وأكثر القتل فيه وغنم دوابهم وأسلحتهم وانقطع الباقون في الليل منهزمين حتى وافت زهيراً بالقصر[1].

كانت تلك الغارة ضربة موجعة للجيش العباسي أغاضت زهيراً وحملتهُ على الإسراع في التوجه إلى الكوفة وقد وافتهُ أوامر الحسن بن سهل - الذي شغلهُ النظر في النجوم عن أمر عسكره- بأن لا ينزل إلاّ بالكوفة، فمضى حتى نزل عند القنطرة، وفي الكوفة التي رجع إليها أبو السرايا منتصراً تهيأ الكوفيون فوافوا زهيراً عند القنطرة وكانت ليلة شتوية باردة فهم يوقدون النار يستدفئون بها ويذكرون الله ويقرأون القرآن، ولم يلبث الجيشان متوافقين ويبدو أن أبا السرايا لم يرد أن ينشب القتال إلاّ على يدهِ، لخطة وضعها، فقد لامَ رجلاً من عسكرهِ وشتمهُ لأنه خرج فبارز رجلاً وقتلهُ وبرز إليه آخر فقتلهُ وبرز إليه ثالث فقتلهُ قائلاً لهُ: مَـنْ أمرك بهذا؟ ارجع. فرجع.

وقف أبو السرايا على القنطرة طويلاً، وخـرج رجل من أهل السرايا من أهل بغداد من أنصار العباسيين، فجعل يشتمهُ بالزنا وأبو السرايا واقف لا يتحرك، ثم تغافل ساعة حتى هم بأن ينصرف ثم حمل عليه أبو السرايا وقتلهُ وحمل على عسكرهم حتى خرج من خلفهم. ثم دعا غلاماً فوجههُ في نفر من أصحابه وأمره أن يمضي حتى يصير من وراء العسكر ثم يحمل عليهم ولا يكر، فمضى الغلام لوجهه مع مَنْ معهُ قاصداً لما أمره به، ووقف أبو السرايا على القنطرة على فرس ادهم وقد اتكأ على رمحهِ فنام على ظهر الفرس حتى غط في النوم وأهل الكوفة جزعون لما يرونهُ من عسكر زهير بن المسيب ويسمعونهُ من تهددهم ووعيدهم، وهم يضجون ويصيحون بالتكبير والتهليل حتى سمع أبو السرايا فأنتبه من نومهِ فظن أن الكمين الذي بعثهُ قد انتهى إلى حيث أمره فصاح بأهل الكوفة: يا أهل الكوفة: احملوا، وحمل وتبعوهُ فلم يبقَ من أصحاب زهير احد إلاّ التفت نحو الإشارة.

وخالط أبو السرايا وغلامهُ (سيار) العسكر وتبعهُ أهل الكوفة وصاح بغلامهِ: ويلك يا سيار ألا تراني، فحمل سيار على صاحب العلم فقتلهُ وسقط العلم وانهزم الجيش العباسي.

وتبعهم أبو السرايا ونادى: مَـنْ نزل عن فرسهِ فهو آمن، فجعلوا يترجلون وأصحاب أبي السرايا يركبون وتبعوهم حتى صاح زهير بن المسيب بأبي السرايا: ويحك أتريد هزيمة أكثر من هذه؟ إلى أين تتبعني؟ فكف أبو السرايا عن ملاحقة العباسيين.

وغنم أهل الكوفة غنيمة كبيرة لم يغنم احد مثلها وعاد زهير بن المسيب إلى بغداد، وغضب الحسن بن سهل عليه فضربهُ بعمود على وجهه فشتر احد عينيه وأراد قتلهُ لولا شفاعة بعض أصحابه فعفا عنهُ.

وصف الأصفهاني دخول أبي السرايا إلى الكوفة منتصراً وصفاً يبين قوة الثورة الشيعية وارتفاع روح الشيعة المعنوية فقال: ودخل أبو السرايا الكوفة ومعهُ خلق كثير من الأسرى ورؤوس كثيرة على الرماح مرفوعة وفي صدور الخيل مشدودة ومن معهُ من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح فهم في حالة واسعة وأنفسهم بما رزقوهُ النصر قوية[2].

قرر الحسن بن سهل أن يعاود القتال في جولة أخرى، فأعد جيشاً عهد بقيادتهِ إلى (عبدوس بن عبد الصمد) وضم إليه ألف فارس وثلاثة آلاف راجل وأغدق العطاء، خرج عبدوس بن عبد الصمد وهو يحلف (أن يبيح الكوفة ويقتل أهلها ويسبي ذراريهم) ومضى عبدوس لوجهه لا يلوي على شيء حتى وصل إلى الجامع، وكان الحسن بن سهل قد أوصاه أن لا يأخذ الطريق الذي سلكهُ زهير بن المسيب حتى لا يرى أشلاء عسكرهُ.

ولما بلغ أبا السرايا خبره صلى الظهر بالكوفة ثم جرد فرسان أصحابه ومن يثق به منهم وساروا حتى وصلوا إلى الجامع فرّق أصحابه ثلاث فرق وقال لهم: شعاركم هو يا فاطمي، يا منصور، واخذ هو في جانب السوق، واخذ سيار في سيرهِ الجامع وقال لأبي الهرماس: خذ بأصحابك على مقربة فلا يفتك احد منهم ثم احملوا دفعة واحدة من جوانب عسكر عبدوس ففعلوا ذلك فقتلوا منهم الكثير وجعل العباسيون يتهافتون في الفرات طلباً للنجاة، حتى غرق منهم خلق كثير، ولقي أبو السرايا عبدوساً في رحبة الجامع فكشف عن رأسهِ وصاح: أنا أبو السرايا، أنا أسد بني شيبان، ثم حمل عليه، فهرب عبدوس، فتبعهُ أبو السرايا فضربهُ على رأسهِ ضربة فلقت هامتهُ، فخرّ عبدوس صريعاً عن فرسهِ.

(١) مقاتل الطالبيين ص٤٣٠

(٢) مقاتل الطالبيين ص٤٣٢

خامساً: موت محمد بن إبراهيم وزعامة أبي السرايا

عاد أبو السرايا إلى الكوفة مكللاً بأكاليل الزهور، دخل على محمد بن إبراهيم وهو في فراش المرض يلفظ أنفاسه الأخيرة فندد بأبي السرايا إذ لم يرضَ لهُ إن يبيت القوم قبل أن يدعوهم، واعتذر أبو السرايا عما حدث وقال لهُ: إنهُ من تدبير الحرب وانهُ لن يعود إلى مثلهِ في المستقبل. أدرك أبو السرايا أن محمد بن إبراهيم قد أوشك على مفارقة الحياة، فطلب منهُ أن يعهد إليه بوصيتهِ فأوصى إليه قائلاً: أوصيك بتقوى الله والمقام على الذب عن دينك ونصرة أهل بيت نبيك (ﷺ) فأن أنفسهم موصولة بنفسك، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي، فأن اختلفوا فالامر إلى علي بن عبيد الله، فأني قد بلوت طريقهُ ورضيت دينه. ولم يلبث محمد بن إبراهيم حتى مات. فكتم أبو السرايا نبأ وفاتهُ. وفي الليل أخرجه في نفر من الزيدية إلى ارض الغري فدفنهُ.

يتهم الطبري أبا السرايا بأنهُ وضع السم لمحمد بن إبراهيم حتى يستأثر بالنفوذ، فيقول: مات محمد بن إبراهيم فجأة، فذكر أن أبا السرايا سمهُ، وكان السبب في ذلك فيما ذكر أن أبا السرايا لما أحرز ما في عسكر زهير من المال والسلاح والدواب وغير ذلك منعهُ محمد بن إبراهيم وحظرهُ عليه، وكان الناس لهُ مطيعين فعلم أبو السرايا انه لا أمر له معهُ فسمهُ[1].

ولكننا نرى الأخذ برواية الأصفهاني التي تقول: إن وفاة محمد بن إبراهيم كانت بعد وقعة عبدوس بن عبد الصمد التي حدثت في (١٣/رجب/سنة١٩٩ هجرية) وقد ذكر الأصفهاني أن محمداً كان عليلاً ويعاني المرض ألزمه الفراش فترة، وما لبث أن مات متأثراً بمرضهِ، وحين خرج أبو السرايا والكوفيون لحرب زهير بن المسيب وحين عاد محمداً يجود بنفسهِ وانهُ رأى الموت في وجهه فطلب منهُ أن يعهد إليه بوصيتهِ فأوصاهُ بالوصية المتقدمة. كان عمر محمد بن إبراهيم حين مات ثلاثاً وخمسين سنة.

وفي اليوم التالي، جمع أبو السرايا الشيعة فخطبهم ونعى محمداً إليهم وعزاهم عنهُ، فارتفعت الأصوات بالبكاء، ثم اخبرهم بوصية محمد بن إبراهيم وانه قد عهد إلى علي بن عبد الله ثم قال: فأن رضيتم به فهو الرضا وإلاّ فاختاروا لأنفسكم.

فتواكلوا ونظر بعضهم إلى بعض فوثب غلام من آل علي بن أبي طالب (عليه السلام) واسمهُ (محمد بن محمد بن زيد) وقال: يا آل علي، فات الهالك النجا، وبقي الثاني بكرمهِ، إنّ زيداً لاينصر بالفشل وليست يد هذا الرجل عندنا سيئة وقد شفي الغليل وأدرك الثأر ثم التفت إلى علي بن عبد الله فقال لهُ: ما تقول يا أبا الحسن رضى الله عنك؟ فقد وصانا بك، أمدد يدك نبايعك.

فقال علي بن عبد الله:..... أتخوف أن اشتغل به من غيره فما هو احمد وأفضل عاقبة...

ثم رشح محمد بن محمد بن زيد لتبايعهُ الشيعة، ثم سأل علي بن عبيد الله، أبا السرايا عن رأيه في ذلك.

قال أبو السرايا: رضائي في رضاك، وقولي مع قولك...

وبذلك تولى محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) الأمر وهو غلام حدث لم يبلغ العشرين من عمرهِ إلاّ أن أبا لسرايا تولى قيادة الأعمال العسكرية وتدبير أمور المقاتلين.

وعلى الرغم من نكسة الثورة بوفاة زعيمهما محمد بن إبراهيم إلاّ أن انتصارات الكوفيين الكبيرة والمتكررة على جند العباسيين جعلتهم في موقف القوي المتمكن مما دفع طوائف كثيرة من الناس والأعراب حول الكوفة إلى الالتحاق بهم والانضمام إليهم.

وولى محمد بن محمد عمالهُ على حكم بعض الأمصار ونظم الكوفة، فولى إسماعيل بن علي بن جعفر على الكوفة، وولى إبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن، وولى زيد بن موسى بن جعفر على الأحواز[2]، وولى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(عليه السلام) على البصرة، وولى الحسين بن الحسن الأفطس بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) على مكة. وولى محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) على المدينة، وولى الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) على واسط[3].

توجه الولاة العلويون الجدد إلى أمصارهم، فنجح إبراهيم بن موسى في السيطرة على اليمن بعد قتال محدود، ونجح والي واسط في هزيمة واليها العباسي (نصر البجلي) وسيطروا على واسط وجبيا الخراج، ونجح والي البصرة في إلحاق الهزيمة بالقوات العباسية وهيمن على البصرة.

---

(١) تاريخ الطبري ج٨ ص٥٢٩

(٢) الأحواز: آخره زاي وهي جمع هوز وأصله حوز كثر إستعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهب أصلها جملة لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة وكان في أيام الفرس أسمها خوزستان، فالأحواز أسم للكورة بأسرها وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز، وأصل الحوز في كلام العرب مصدر حاز الرجل الشيء يحوزه.: معجم البلدان، ج ١ ص٢٨٤.

(٣) الكامل في التاريخ ح٦ ص١٤٩

سادساً: نهاية الثورة

علم داود بن عيسى الوالي العباسي على مكة والمدينة بقدوم الحسين بن الحسن الأفطس الوالي العلوي الجديد ليحج بالناس في هذه السنة ١٩٩ هجرية فحشد موالي بني العباس ليدافعوا عنهُ وحدث أن قدم عليه مسرور خادم الرشيد الذي كان يؤدي فريضة الحج ومعهُ مائتا فارس من أصحابه، حث مسرور الوالي العباسي على قتال الوالي العلوي الجديد، فرفض داود بن عيسى العباسي أن تكون مكة المكرمة مسرحاً للقتال، فأخذ مسرور يذكرهُ انه من الولاة العباسيين وعليه أن يدافع عن ملكهِ وسلطانهِ، وكان داود ساخطاً إذ لم يوله الخليفة العباسي حكم ولايته إلاّ بعد أن وصل إلى مرحلة الشيخوخة، واختاروا له بلاد الحجاز وهي فقيرة في مواردها الاقتصادية ولذلك آثر داود الخروج إلى العراق، فت ذلك في عضد مسرور ولم يشأ أن ينفرد بقتال العلويين لأنه خشي إنْ قاتلهم أن يميل أكثر الناس معهم لذلك رأى أن يلحق بداود، فخرج راجلاً إلى العراق فدخل الحسين بن الحسن الأفطس مكة وجميع من معهُ لا يبلغون العشرة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وبعد أن أنهى أفعال الحج بدأ يمارس سلطاته كوالي[١].

أتسع نفوذ العلوي الجديد محمد بن محمد بن زيد بعد الهزائم المتكررة للجند العباسيين، فعظم أمرهُ على الحسن بن سهل الذي رأى استفحال سلطان أبي السرايا وان جندهُ لا يلقون عسكراً إلاّ هزموهُ ولا يتوجهون إلى بلد إلاّ دخلوهُ، فلم يجد معه من القواد مَنْ يكفيه حربه فرأى الحسن بن سهل أن يستعين بالقواد الكفوئين الذين جُردوا من مناصبهم فرأى أولا أن يستعين بطاهر بن الحسين إلاّ أن نصيحة احدهم لهُ صرفتهُ عن ذلك إذ إن طاهر بن الحسين كان يميل إلى العلويين فرأى أن يعهد بأمر أبي السرايا للقائد هرثمة بن أعين على الرغم من أن العلاقات بين الاثنين قد ساءت بينهما، فقد غضب هرثمة بن أعين لتولية الحسن بن سهل على العراق وخرج غاضباً إلى حلوان، فبعث الحسن إليه رسولاً هو السندي بن شاهك يطلب منهُ أن يتناسى ما كان بينهما من شحناء وبغضاء ويستدعيه إلى بغداد لتولي قيادة الجيش الذي يوجهه لقتال أبي السرايا.

فرفض هرثمة دعوة الحسن بن سهل قائلاً للسندي بن شاهك: نوطئ نحن الخلافة ونمهد لهم أكنافها، ثم يستبدون بالأمور ويستأثرون بالتدبير علينا، فإذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور أرادوا أن يصلحوهُ بنا، لا والله ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم وقبيح أفعالهم.

(١) تاريخ الطبري ج٨ ص٥٣٦

إلاّ انهُ غيّر رأيه حين بلغهُ كتاب منصور بن المهدي العباسي، وعاد راجعاً إلى بغداد، استقبل هرثمة بحفاوة ونقل إليه الحسن بن سهل دواوين الجيش ليختار الرجال منها وأطلق له بيوت الأموال فانتخب من أراد[٢].

تقدم هرثمة بن أعين إلى نهر صرصر ليجد أبا السرايا، وبعد أن اخذ ابن أبي سعيد المدائن وبلغ ذلك أبا السرايا انصرف من الليل إلى المدائن فوجدها اخُذت فناوشهم قليلاً ثم عاد نحو قصر ابن هبيرة فوجد هرثمة في طلبهِ، التقى به وقاتلهُ قتالاً شديداً هزم على أثره أبو السرايا وقُتل أخوه، فأنحاز إلى الكوفة وخرج أبو السرايا في الناس، فنبأهم وجعل على الميمنة الحسن بن الهذيل وعلى الميسرة جرير بن الحصين وهو في القلب.

ونشب قتال ضارٍ بين الفريقين، انهزم أصحاب هرثمة هزيمة يسيرة، إلاّ إن أبا السرايا لم يتبعهم خشية أن يمكر به، فوقف إلاّ إن احد قوادهُ وهو مولاه أبو كتلة تبعهم ثم عاد فأخبر أنهم عبروا الفرات فرجع أبو السرايا بالناس إلى الكوفة ثم خرج يوم الاثنين (٩ /ذي القعدة) وخرج الناس معهُ إذ علم إن هرثمة سيوافيه هذا اليوم، ثم التقى الجيشان في قتال مرير لم يسمع بمثلهِ.

وقُتل فيه الحسن بن الحسن بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام). وقتل من قواد أبي السرايا روح بن الحجاج، وأبو كتلة، فوجد أبو السرايا أن النصر يكاد يكون في متناول يدهِ فجد وشمر وشجع أصحابه والتحم القتال فقتل بيدهِ احد قواد هرثمة ولم يلبث جند هرثمة حتى هُزموا شر هزيمة حتى قيل أن هرثمة نفسه وقع أسيرا بيد رجل لم يعرفهُ.

وكان هرثمة قد خلف فرقة من جيشهِ قوامها عشرة آلاف رجل يكونون رداءاً لهُ إن أنهزم أصحابه عليهم رجل اسمهُ عبد الله بن الوضاح إلاّ أن أبا السرايا نادى بجندهِ أن يتوقفوا مخافة أن يكر عليهم كمين للخراسانيين، فلم يفعلوا فأستقبلتهم الفرقة العباسية وحدث قتال عنيف قُتل فيه من الكوفيين أعداد كبيرة، واستعاد جند هرثمة مواقعهم ثم استمرت الحرب سجالاً أياماً أخرى، كان هرثمة خلالها قد استدعى منصور بن المهدي العباسي وبدأ يكاتب رؤوساء الكوفة[٣].

ويبدو إن ذلك عمل عملهُ في نفوس الكوفيين وقد أراد أبو السرايا أن يحسم الموقف لصالحهِ فبعث رجلاً في خيل وأمره أن يأتي هرثمة من ورائهِ فمضى ولم يشعر به هرثمة حتى قرب منهُ، وحمل أبو السرايا بمن معهُ، إلاّ أن هرثمة لجأ إلى

(٢) مقاتل الطالبيين ص٤٣٧

(٣) تاريخ الطبري ج٨ ص٥٣٨

حيلة يثبط بها همة جند أبي السرايا هذه الحيلة تشبه حيلة رفع المصاحف يوم صفين فنادى: يا أهل الكوفة علامَ تسفكون دماءنا ودماءكم؟ إن كان قتالكم إيانا كراهية لإمامنا، فهذا المنصور بن المهدي رضى لناولكم نبايعهُ، وإنّ أجبتم اخرج الأمر من ولد العباس فأنصبوا أمامكم، واتفقوا معنا ليوم لاثنين لنتناظر فيه، ولا تقتلونا وأنفسكم.

وفي أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩هـ- ٨٩٢ م): إنّ هرثمة بن أعين ادّعى موت المأمون فلا حاجة للقتال[١].

فأمسك أهل الكوفة عن القتال، وناداهم أبو السرايا: ويحكم إن هذه حيلة من هؤلاء الأعاجم، وإنما أيقنوا بالهلاك فاحملوا عليهم، فامتنعوا وقالوا: لا يحل لنا قتالهم وقد أجابوا. فغضب أبو السرايا ونفض يدهُ من الكوفيين وانسحب إلى الكوفة.

وفي يوم الجمعة وقف أبو السرايا على المنبر وخطب بأهل الكوفة قائلاً لهم: يا أهل الكوفة، يا قتلة علي، ويا خذلة الحسين، إن المغتر بكم لمغرور، وإن المعتمد على نصركم لمخذول، وإن الذليل لمن أعززتموه، والله ما حمد عليّ أمركم فنحمدهُ، ولا رضي مذهبكم فنرضى به، ولقد حكّمكم فحكمتم عليه، وائتمنكم فخنتم أمانته ووثق بكم فحلتم عن ثقتهِ، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين ولطاعتهِ ناكثين، لأن قام قعدتم وإنّ تقدم تأخرتم، وإن تأخر تقدمتم خلافاً عليه وعصياناً لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته، وخذلكم الله بخذلانكم إياهُ، أي عذر لكم في الهرب عن عدوكم، والنكول عمّن عبروا خندقكم؟ وعلوا قبائلكم؟ ينتهبون أموالكم ويستحيون حريمكم، هيهات لا عذر لكم إلاّ العجز والمهانة والرضا بالصغار والذلة، إنما أنتم كفيء الظل، تهزكم الطبول بأصواتها، ويملأ قلوبكم الحرق بسوادها، أما والله لاستبدلن بكم قوماً يعرفون الله حق معرفتهِ ويحفظون محمداً في عترتهِ. ثم قال:

وما رسْتُ أقطارَ البلادِ فلم أجد
لكم شبهاً فيما وطئتُ من الأرض
خلافاً وجهلاً وانتشارَ عزيمةٍ
ووهناً وعجزاً في الشدائد والخفض
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة
فلا فيكم راضٍ ولا فيكم مُرْضي
سأبعد داري من قلى عن دياركم
فذوقا إذا ولّيت عاقبة البغضِ

(١) انساب الأشراف ج٣ص٢٦٧

وقامت جماعة من أهل الكوفة يدافعون عن أنفسهم ويذكرونهُ بإخلاصهم له، وتفانيهم في القتال معه وعرضوا عليه البيعة على الموت. فأعرض عنهم أبو السرايا و نادى في الناس بالخروج لحفر الخندق[٢].

إلاّ أن الطبري ذكر: إن محمد بن محمد بن زيد ومن معهُ من الطالبيين وثبوا على دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم في الكوفة فنهبوها وخربوها وأخرجوهم عن الكوفة وعملوا في ذلك عملاً قبيحاً واستخرجوا الودائع التي كانت عند الناس فأخذوها[٣].

ولكن البلاذري ذكر خبراً يناقض ما رواهُ الطبري فقد قال: انهُ خطب فأحسن القول في بني العباس، وقال: إنّ قوماً يزعمون أن مال بني العباس لنا، وهؤلاء جهال، ضلال يحكمون بلا علم ويقولون بلا دراية، فقام إليه - عبد العزيز بن عيسى بن موسى- فجزاهُ خيراً وشكرهُ، وقال لهُ – عبد الله بن رئاب -: قد كان هذا الكلام يتلجلج في صدري حتى أخرجه الله على لسانك[٤].

أما أبو السرايا فيبدو انهُ عزم على أمر لم يفد معهُ عرض الكوفيين فأرتحل هو و-محمد بن زيد – ونفر من العلويين والأعراب وقوم من أهل الكوفة وذلك في يوم الأحد المصادف (١٦/محرم الحرام/ سنة ٢٠٠ هجرية) فأقام بالقادسية ثلاثة أيام حتى تنام أصحابه، ولم يكد أبو السرايا يخرج من الكوفة حتى وثب بها- أشعث بن عبد الرحمن الاشعثي- فدعا إلى هرثمة وخرج أشراف الكوفة إلى هرثمة فسألوهُ الأمان للناس فأجابهم إلى ذلك.

وكان دخول هرثمة للكوفة في صبيحة الليلة التي خرج فيها أبو السرايا ولم يلبث هرثمة إلاّ قليلاً حيث خلف عليها رجلاً، وعاد إلى معسكرهِ ثم ارتحل إلى بغداد بعد أن آمن الناس وهدأت قلوبهم من وحشة الحرب.

أما أبو السرايا فقد خرج من القادسية متوجهاً إلى البصرة التي لم تزل بيد أنصاره، فأتى إلى واسط التي أصبحت الآن بيد- علي بن أبي سعيد- فعبر دجلة من أسفلها.

ومضى أبو السرايا يريد البصرة، فلقيه إعرابي من أهل البلد فسألهُ عن البصرة فقال لهُ: إنّ المسودة في خلق كثير لا يمكنهُ مقاومتهم.

وأراد أبو السرايا الوصول إلى واسط فأعلمهُ الإعرابي أن

(٢) مقاتل الطالبيين ص٤٤٤
(٣) تاريخ الطبري ج٨ص٥٣١
(٤) انساب الأشراف ج٣ص٢٦٦

صورة أمرها مثل صورة البصرة، فقال أبو السرايا للإعرابي: أين ترى؟

قال الإعرابي: أرى أن تعبر دجلة فتكون بين جوفي والجبل فيجتمع معهُ أكرادها ويلحق به من أراد صحبتهُ من أعراب السواد وأكراده.

فقبل أبو السرايا المشورة وسلك ذلك الطريق وجعل يجبي الخراج وهو في طريقهِ ويستولي على غلاتها، حتى وصل إلى إقليم الأهواز ودخل مدينة السوس وكان والي الأهواز الحسن بن علي الباذغيسي المأموني الذي بعث إلى أبي السرايا يعلمهُ كراهيتهُ لقتالهِ ويسألهُ الانصراف عنهُ إلى حيث أحب. ولكن أبا السرايا أصر على قتالهِ فدارت معركة عنيفة انتهت بهزيمة أبي السرايا الذي اضطر للتوجه إلى خراسان، فنزلوا بقرية يقال لها- برقانا- وأقنعهم واليها (حماد الكندغوش) بأنهم إذا صحبوهُ إلى الحسن بن سهل فانه يأخذ منه الأمان لهم.

بادر (محمد بن محمد بن زيد) إلى الحسن بن سهل يسألهُ أن يؤمنهُ على نفسه فقال الحسن بن سهل: لابد من ضرب عنقك. فقال لهُ بعض من كان يستنصحهُ: أيها الأمير لا تفعل فأن الرشيد لما نقم على البرامكة احتج عليهم بقتل ابن الأفطس وهو (عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)) فقتلهم به، ولكن احملهُ إلى أمير المؤمنين، فعمل ذلك وحلف انهُ يقتل أبا السرايا. فقال لأبي السرايا: مَنْ أنت؟ قال: السري بن منصور. قال الفضل بن سهل: لا بل أنت النذل ابن النذل، المخذول ابن المخذول، قم يا- هارون بن أبي خالد- فاضرب عنقهُ بأخيك-عبدوس بن عبد الصمد- فقام إليه فضرب عنقهُ. ثم أمر برأسه فصلب في الجانب الشرقي، وصلب بدنهُ في الجانب الغربي من بغداد.

وحُمل (محمد بن محمد بن زيد) إلى خراسان فأقيم بين يدي المأمون وهو جالس في بلاطهِ، ثم صاح الحسن بن سهل: أكشفوا رأسهُ فكشف رأسهُ فتعجب المأمون من حداثة سنهِ، ثم أمر لهُ بدار فأسكنها وجعل له فيها فراشاً وخادماً فكان فيها على سبيل الاعتقال والتوكيل و أقام على ذلك أربعين يوماً ثم دست إليه شربة فمات مسموماً. وقد أحصت الدواوين عدد القتلى الذين لاقوا حتفهم في ثورة محمد بن إبراهيم وأبي السرايا فبلغ عددهم مائتا الف رجل و التي استمرت عشرة شهور[1].

(١) الكامل في التاريخ ج٦ ص١٠٧

سابعاً: مصير هرثمة بن أعين

على الرغم من بلاء هرثمة بن أعين في القضاء على ثورة أبي السرايا فقد كانت هذه الثورة هي نهاية أمجادهُ، فقد اعتبر هرثمة استبداد الفضل بن سهل بشؤون الدولة هو سبب قيام الاضطرابات عامة، وظهور الثورات الشيعية خاصة، ورأى أن يخرج إلى مرو ليطلع الخليفة المأمون على ما يخفيه الفضل عنهُ من أحداث الدولة، ودس الفضل بن سهل عند المأمون وأوغر صدرهُ عليه.

فقال: إنّ هرثمة قد أثقل عليك البلاد والعباد وظاهر عليك عدوك، وعادى وليك ودرّبَ أبا السرايا وهو جندي من جندهِ، حتى عمل ما عمل، ولو شاء هرثمة أن لا يفعل ذلك أبو السرايا ما فعلهُ. وصدق المأمون مقالة الفضل بن سهل واعتقد أن أبا السرايا قد ثار بتحريض من هرثمة فقال المأمون لهرثمة حين مثل بين يديه:.... دسستَ إليّ أبي السرايا حتى خرج وعمل ما عمل، وكان رجلاً من أصحابك ولو أردت أن تأخذهم جميعاً لفعلت ولكنك أرضيت خناقهم. وانتهى أمر هرثمة بسجنهِ ثم قتله فيما بعد!!![2]

ثامناً: عوامل إخفاق الثورة

اتسعت ثورة أبي السرايا وبلغت حداً كبيراً من الخطورة بين الغالبية العظمى من أهالي الكوفة، وبلغ عددهم أكثر من مائتي ألف، واستطاع أن يسيطر على كثير من مدن العراق والحجاز واليمن وحاز كثيراً من الانتصارات الحربية، وهزم عدداً كبيراً من الجيوش العباسية وأثار قلق السلطات الحاكمة. إذن ما هي العوامل التي أدت إلى إخفاق هذه الثورة؟؟

١) عدم انتساب أبي السرايا إلى البيت العلوي على الرغم من دعوتهِ للعلويين وشيعتهم، ولذلك سارعت الشيعة إلى تأييد زعماء علويين آخرين في مقدمتهم الإمام الصادق (عليه السلام) مما أدى إلى تفرق الشيعة بين مناصرة أبي السرايا و تأييد الزعماء العلويين، كما كان ماضي أبي السرايا يثير الشبهات والأقاويل فقد كان بالأمس القريب من رجال هرثمة بن أعين القائد العباسي ولولا حنق أبي السرايا على هرثمة لاستمر على ولائهِ للعباسيين ولذلك لم يقتنع كثير من المسلمين بصدق نواياهُ نحو البيت العلوي وقد كان بالأمس موالياً للبيت العباسي[3].

٢) ومن العوامل المهمة في إخفاق هذه ثورة هو افتقادها الزعيم العلوي المؤهل لقيادتها وتوجيهها، فقد كان الزعيم

(٢) تاريخ الطبري ج٧ص١١٧

(٣) جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ص٤٤٣

الأول هو محمد بن إبراهيم وقد ركن إلى الهدوء والسلام في المدينة ولولا تشجيع نصر بن شبيب ثم أبي السرايا لهُ لما أقدم على طلب الخلافة[1].

٣) المرض الذي لازم محمداً طوال إقامته بالكوفة ما جعلهُ بعيداً عن الأحداث وأعطى أبا السرايا الفرصة للاستئثار بالأمور، وقبل وفاة محمد بن إبراهيم عهد بالزعامة إلى علي بن عبد الله ولكنهُ آثر الهدوء والابتعاد عن تيارات السياسة وأخطارها، فتنازل عن حقهِ من دون أن يذكر مبرراً قوياً تقتنع به الشيعة، ثم تولى الزعامة غلام صغير السن ليس لهُ بالأمور خبرة وتجربة، على إننا نشاهد زعماء الثورات السابقة كانوا من شيوخ العلويين وزعمائهما البارزين، وبعدما فشلت الثورة في الكوفة هرب أبو السرايا باتجاه السوس في الأهواز ومن هناك حاول الوصول إلى الجزيرة مسقط رأسه فأعتقل وقتل في شهر (تشرين الأول سنة ٨١٥ م) وعُرض جسده المقطوع الرأس في ساحة المشنقة ببغداد[2].

وعلى الرغم من نهاية الثورة إلاّ أن الثورات الشيعية لم تنتهِ في كثير من النواحي التي دانت لهم بالطاعة فقد تمسك بعضهم بزمام الأمور التي تولوا إعمالها أيام أبي السرايا واستمروا في مناوأة الدولة العباسية ولكن الدولة العباسية الآن بدأت تتحول إلى مسار آخر مختلف تماماً عما كانت عليه، فقد كان المأمون يبدي عطفاً على العلويين لم يلبث حتى تحول إلى اعتناق عقيدة الشيعة في الإمامة، ولم يلبث المأمون حتى دعا الإمام الرضا (عليه السلام) إلى خراسان وحملهُ على قبول ولاية عهدهِ ثم استبدل شعار العباسيين بشعار العلويين الأخضر، فألزم الجند ومؤسسات الدولة بطرح السواد. وقد أبقى المأمون ولاية العهد في بعض النواحي بيد العلويين كما فعل مع إبراهيم بن موسى بن جعفر في اليمن.

أما الإمام الرضا (عليه السلام) فقد كان كارهاً للولاية لعلمهِ بأن المأمون لم يكن جاداً في كل ما كان يتظاهر به من الحب والولاء والعطف على العلويين بل كان يستتر بذلك ليحصل على مكاسب يستفيد منها هو وأسرته وتوفير الأمن والاستقرار له كما يبدو ذلك من ملاحظة الظروف التي كانت تحيط بدولتهِ في تلك الفترة من تاريخها.

أما أهداف المأمون من ولاية عهده للإمام الرضا (عليه السلام) فهي:

أ-أراد أن يضيق ويحبس الإمام الرضا (عليه السلام) كما فعل هارون الرشيد مع أبيه الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) لتبدل الظروف والأجواء، فأراد إبعاده وحبسه تحت أشرافه ويظهر هذا من منعه أن يأخذ طريق الكوفة وقم لئلا يلتقي مع شيعته في تلك البلاد.

ب-أن يسقطه من أعين الناس بتقليده ولاية العهد حتى يغطي زهده في الدنيا واستغراقه في عبادة الله.

ت-أن يزيل عار قتل أخيه الأمين طلباً للملك بإظهار زهده في الخلافة بتقليدها للإمام(عليه السلام).

ث-أن يمنع من خروج العلويين عليه في معظم البلاد ويستريح منهم بهذه الوسيلة.

لذلك فإن التاريخ يحدِّثنا أن المأمون قد دسَّ السمّ في بعض طعام الإمام الرضا (عليه السلام) في العنب، أو الرمان، فأغتاله، وقد حاول بعض المؤرخين تنزيه المأمون من إقتراف هذه الجريمة النكراء، وأنه لم يقدم على اغتيال الإمام (عليه السلام) فقد ذهب ابن خلدون إلى أن الإمام (عليه السلام) مات حتف أنفه فجأة على أثر عنب أكله[3]. وكذا ذهب غيره إلى هذا القول[4]. في حين قال ابن الجوزي: لما رأى العباسيون أن الخلافة قد خرجت من أيديهم إلى أولاد علي بن أبي طالب سمّوا علي بن موسى الرضا فتوفي في قرية من قرى طوس يقال لها سناباد.... وقد زعم قوم أن المأمون سمّه، وليس كما ذكر، فإن المأمون حزن عليه حزناً لم يحزنه على أحد، وكتب إلى الآفاق يعزونه[5]. كما ذكر عدد من المؤرخين أن الإمام (عليه السلام) توفي مسموماً، ولم يذكروا غير ذلك[6].

وكانت شهادته (عليه السلام) في اليوم الأخير من شهر صفر سنة (٢٠٣هـ/٨١٨م) وهو ابن خمس وخمسين سنة، بمدينة طوس التي دُفِنَ فيها، وقد اختلف في تاريخه إلاّ أن هذا التاريخ هو اقصد[7].

والمشهور الذي يتفق وطبيعة المأمون وسلوكه الشخصي مع أخيه الأمين وقوّاده والصراع المستحكم بين أهل البيت (عليهم السلام) والعباسيين وظهور شخصية الإمام (عليه السلام) وتفوقها على شخصية المأمون، لترجِّح اغتيال الإمام (عليه السلام) بالسم ورجحان الروايات الدالة على ذلك.

---

(١) المصدر السابق، ص٤٤٣

(٢) الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ص٢٣٣

(٣) كتاب العبر، ج ٣، ص ٢٥٠.

(٤) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٧٠

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٠، ص ١٢٠.

(٦) كتاب المعارف، ص٢٥٥، كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ص ٤٧

(٧) الكافي ح١ ص٤٩٦

قائمة المصادر

القرآن الكريم

❖ **أولاً: المصادر العربية:**

١. ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، باعتناء فليتزر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا تاريخ.

٢. إبراهيم بن محمد الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جبر عبد العال الحسيني، دار الفكر، القاهرة، ١٩٦١.

٣. احمد بن اسحق بن جعفر بن البغدادي اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، علق عليه خليل المنصور، مطبعة مهر، قم ١٤٢٥هـ.

٤. احمد بن يحيى البلاذري: انساب الأشراف، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤.

٥. أحمد بن محمد (ابن خلكان): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨.

٦. باقر شريف القرشي: حياة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، منشورات سعيد بن جبير، قم، بلا تاريخ.

٧. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.

٨. علي بن أبي المكارم الشيباني (ابن الأثير): الكامل في التاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

٩. علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأنوار، بيروت، ٢٠٠٩.

١٠. عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد حقائق عن عهده وخلافته، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٩.

١١. عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧.

١٢. عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ابن خلدون): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١.

١٣. عبد الرحمن بن علي البغدادي (ابن الجوزي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٢.

١٤. عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة): كتاب المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٠.

١٥. عمر علي حسن: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، صححه وعلق عليه عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦

١٦. محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩

١٧. محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، ١٢٠٥هـ.

١٨. محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٥.

١٩. مصعب بن عبد الله الزبيري: نسب قريش، صححه وعلق عليه ونشره ليفي بروفنسال، مطبعة الشريعة، قم، ٢٠٠٧.

٢٠. مهدي النجم: ثورات العلويين، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٢.

٢١. ياقوت الحموي: معجم البلدان، صححه محمد أمين الخانجي الكنبي، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٦.

❖ **ثانياً: المصادر المترجمة:**

١. آرثر كرستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام، دار اليقظة العربية، القاهرة، ١٩٤٦.

٢. نيكيتا أيليسيف: الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ترجمة منصور أبو الحسن، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٧٣.